فصل في

آياته ﷺ ودلائل نبوته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - في الجواب الصحيح: (١)

وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبريَّة والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحدٍ من النبيين قبله فضلاً عن غير النبيين .اهـ.

آيته الكبرى ومعجزته العظمى القرآن الكريم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» (٢).

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله - في الفتح: (٣)

أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أُنزل عليَّ وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصَّ بها دون غيره. اهـ.

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث من صحيح البخاري:

حصر آيته في القرآن لأنه يبقى،بخلاف آياته الأخرى فلم تبق بنفسها . اهـ.

فهذا القرآن العظيم هو «المعجز المبين وحبل الله المتين الذي هو كما وصفه من أنزله فقال: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤٢] ،

---

(١) (٦/٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل القرآن،) باب (كيف نزل الوحي) ، برقم ٤٩٨١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس) ، برقم ١٥٢ .

(٣) (٨/٦٢٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ [الواقعة : ٧٧-٧٩] .

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) ﴾[البروج: ٢١-٢٢] ، وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) ﴾ [آل عمران : ٦٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

فأبان ـ جل جلاله ـ أنه أنزله على وصف مباين لأوصاف كلام البشر،لأنه منظوم وليس بمنثور،ونظمه ليس نظم الرسائل ولا نظم الخطب،ولا هو كأسجاع الكهان »[١].

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨) ﴾[الإسراء : ٨٨] .

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-:[٢]

فعم بالخبر كل الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن،ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك،وهذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه،الخاص والعام،وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة مثله،ومن حين بعث إلى اليوم والأمر على ذلك مع ما علم أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث،ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق ممكن ،تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوا عن قصة يوسف وأهل الكهف وذي القرنين،وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولون فيه،وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس مثله لمجرد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٠-١١) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٢٦ - ٢٤٨) .

شبه ما مع ظهور الفرق، فتارة يقولون: مجنون. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: شاعر. إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحدَّاهم بالمعارضة مرَّة بعد مرَّة وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحدٍ بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره » اهـ.

وجوه إعجاز القـــرآن :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :[1]

« وكون القرآن معجز ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة:

❁ من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك.

❁ ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيَّن فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)** ﴾ [الزمر :٢٨].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له . اهـ.

---

(١) الجواب الصحيح (٥ / ٤٢٨ - ٤٢٩).

ثم قال -رحمه الله-: (١)

فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه،وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه اهـ.

معجزة القرآن أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص:

قال الإمام البيهقي -رحمه الله- في دلائل النبوة: (٢)

وفيما حكى أبو سليمان الخطابي عن بعض أهل العلم أن الذي أورده المصطفى ﷺ على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص،لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان المتقدمين في الألسن بكلام مفهوم المعنى عندهم ، فكان عجزهم أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى،لأنهم لم يكونوا يطيقون فيه ، ولا في إبراء الأكمه والأبرص، ولا يتعاطون علمه ، وقريشٌ كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدلَّ أن العجز عنه إنما كان لأن يصير عَلَماً على رسالته وصحَّة نبوته ، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح اهـ.

فقد أعلم الله نبيه ﷺ أن أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي جاء به؛ فقال سبحانه: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)** ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ثم أمره أن يتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله إن ادعوا أنهم يقدرون عليه أو يظنوه فقال: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)** ﴾ [هود : ١٣] .

ثم نقصها تسعاً فقال: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] .

---

(١) المصدر السابق (٥ / ٤٣٤).

(٢) (١ / ١٦-١٧) .

فكان من الأمر ما يصفه غير أن من قبل ذلك دلالة ،وهي أن النبي ﷺ كان غير مدفوع عند الموافق والمخالف عن الحصافة والمتانة وقوة العقل والرأي.

ومن كان بهذه المنزلة وكان مع ذلك قد انتصب لدعوة الناس إلى دينه لم يجز بوجه من الوجوه أن يقول للناس: إئتوا بسورة من مثل ما جئتكم به من القرآن ولن تستطيعوه ، فإن أتيتم به فأنا كاذب ، وهو يعلم أن القرآن منزل عليه ولا يأمن أن يكون في قومه مَنْ يعارضه ، وأن ذلك كان يبطل دعوته.

فهذا دليل قاطع على أنه لم يقل للعرب إئتوا بمثله إن استطعتموه ولن تستطيعوه إلا وهو واثق متحقق أنهم لا يستطيعونه ، ولا يجوز أن يكون هذا اليقين وقع له إلا من قبل ربه الذي أوحى إليه به فوثق بخبره.

ثم إنه ﷺ قال لهم: إئتوني بسورة مثله إن كنتم صادقين،فطالت المهلة والنظرة لهم في ذلك،وتواترت الوقائع والحروب بينه وبينهم،فقُتلت صناديدُهم،وسُبيت ذراريهم ونساؤهم،وانتُهبت أموالهم،ولم يتعرض أحدٌ لمعارضته،فلو قدروا عليها لافتدوا بها أنفسهم وأولادهم وأهاليهم وأموالهم،ولكان الأمر في ذلك قريباً سهلاً عليهم إذ كانوا أهل لسان وفصاحة وشعر وخطابة،فلمَّا لم يأتوا بذلك ولا ادّعوه صحَّ أنهم كانوا عاجزين عنه ، وفي ظهور عجزهم بيانٌ أنه في العجز مثلهم، إذ كان بشراً مثلهم، لسانه لسانهم ،وعاداته عاداتهم،وطباعه طباعهم، وزمانه زمانهم، فإذا كان كذلك وقد جاء بالقرآن وجب القطع بأنه من عند الله »[١].

وللإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ كلام حسن على وجوه إعجاز القرآن أنقله لأهمية المقام: قال - رحمه الله -:[٢]

لَمَّا غلب السحر في زمن موسى عليه السلام جاءهم بجنسه في معجزاته ، ففلق البحر، وألقى العصا تلقف ما يأفكون، فبطل ما هنالك وانقلبوا صاغرين.

ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه السلام جاءهم بجنسه،فأحيا الموتى،وأبرأ الأكمه

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١-١٢) .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ (٢٦٧ - ٢٧١) باختصار وتصرف .

بإذن الله ، ولَّما غلبت الفصاحة وقول الشعر والنظم والنثر في زمن نبينا ﷺ جاءهم بالقرآن العظيم.

وهو مُعجز من أوجه:

أحدها: ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة، فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز فلا يخلُّ بمقصود الأولى.

والثاني: مفارقته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار.

وبهذين المعنيين تحدَّث العرب فعجزوا وتحيروا وأقروا بفضله ،حتى قال الوليد بن المغيرة ـ وهو من صناديد كفار قريش ـ « والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة » .

وكان النضر بن الحارث بن كلده يقول: يا معشر قريش لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون.

فلما تحيروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا نودي عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)** ﴾ ثم قال تعالى:﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)** ﴾[البقرة:٢٣-٢٤].

ومعلوم أن النفوس الأبيَّة إذا قُرِّعت بمثل هذا استفرغت الوسع.

فلما عدلوا إلى المحاربة والقتال ورضوا بسبي الذراري وأخذ الأموال عُلِمَ عجزهم، وهم معدن البلاغة والفصاحة والقرآن من جنس كلامهم ،ولَّما أقدم بعض الكفار على معارضة بعض سور القرآن فعارض سورة الفيل بما تضحك منه الثكالى، فقال :الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل، وإنَّ ذلك من خلق ربنا لقليل.

وقال أيضاً: يا ضفدع تأنيث ضفدعين ، نقي كم تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين.

وقال: ومن العجاب شاة سوداء تحلب لبناً أبيض.

فظهرت فضائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا لكان أصلح لهم.

الثالث : في معجزة القرآن :

ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب مع كون الآتي بها أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، ولا علم بمجالس الأحبار ولا الكهان ، ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار لم يدرك ما أخبر به القرآن .

الرابع: إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً لوقعها على ما أخبر كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)** ﴾ [البقرة : ٩٤]. ثم قال : ﴿ **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)** ﴾ [البقرة:٩٥]. ولم يفعلوا ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)** ﴾ [آل عمران : ١٢] ، وغُلِبُوا .

وقال تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم : ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ [الفتح:٢٧] ، ودخلوا .

وقال تعالى لأبي لهب ﴿ **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)** ﴾ [المسد :٣-٤] ، وهذا في حياتهما وهو دليل على أنهما سيموتان على الكفر ، وكذلك ماتا على الكفر.

الخامس: أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)** ﴾ [الحجر:٩] اهـ.

قلت: ومن تلكم الغيوب التي أخبر بها القرآن الكريم ما دل عليه من الآيات الباهرات في الأنفس والحيوان والنبات والبحار والكون المحيط بنا مما لم يكن يحيط به علم البشر في عهد النبي ﷺ من تلقاء أنفسهم، ثم يأتي الناس من بعد قرون عديدة وجهود مضنية وأبحاث كثيرة ليكتشفوا شيئاً من أسرارها وقد سبقهم القرآن بقرون متطاولة وكان يتلوه على الناس نبي أمي لم يدرس شيئاً من علوم الفضاء

والبحار والطب البشري وغيرها، ليثبت للعالم أنه رسول رب العالمين الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وأن هذا القرآن الذي جاء به كلام الله ومنزل من عند الله ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (٦) ﴾ [الفرقان :٦] .

فانظر مثال ذلك في الأنفس في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤) ﴾ [نوح :١٣-١٤] ،ثم انظر تفسير هذه الأطوار في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] .

وانظر مثاله في الحيوان في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) ﴾ [النحل : ٦٦] .

وتأمل مثاله في البحار في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾ [النور : ٤٠] .

وتأمل مثاله في الكون في قوله تعالى :﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾ [الأنبياء :٣٠]، وقوله تعالى :﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾

[يس : ٣٧-٤٠] .

ألا يكفي هذا طلاب الحقيقة الباحثين عن الحق ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،ويعلموا أن هذا القرآن من عند الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم :٣-٤] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [العنكبوت : ٥١] وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾ [فصلت :٥٣]. بلى يكفي.

وقال تعالى :﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ . [الأنعام : ١٢٥] .

وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [ص :٨٧-٨٨] .

انشقاق القمر في زمنه ﷺ تأييداً له :

فقد جعل الله ذلك آية على صدق رسوله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) ﴾ .

[القمر : ١-٣] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (١)

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها .اهـ.

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقين على هذا الجبل وهذا الجبل ، فقالوا سحرنا محمد ؛ فقال بعضهم لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم » (٢) .

---

(١) السيرة النبوية (٢ / ١١٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٨١) والترمذي في سُننه كتاب (تفسير القرآن) باب (سورة القمر)، برقم٣٢٨٩، والطبراني في الكبير برقم (٣٢٨٩) والبيهقي في الدلائل (٢ / ٢٦٨) وغيرهم ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح سُنن الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقين فقال كفار قريش: هذا سحرٌ سحركم به ابن أبي كبشة ـ يعنون رسول الله ﷺ ـ انظروا السفَّار ـ أي المسافرين ـ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحرٌ سحركم به، فسئل السُفَّار وقد قدموا من كل جهة فقالوا رأينا » (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرق فوق جبل وفرق دونه فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**» (٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: « سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» (٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل،فقال رسول الله ﷺ:« **اللهم اشهد**»(٤).

مسألة:

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (٥)

قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ،ويقال: إنه أُرِّخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبُنيَ تلك الليلة وأرِّخ بليلة انشقاق القمر اهـ.

مسألة أخرى:

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (٦)

والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن وإشارته ،فصار فرقين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ،ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه ، كما أخبر بذلك ابن مسعود رضي الله عنه أنه شاهد ذلك. ا هـ.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢ / ٢٦٦) وغيره .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (انشقاق القمر) برقم ٤٨٦٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر) ، برقم ٣٦٣٧ ، ومسلم في كتاب (صفة القيامة) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب (صفة القيامة) باب (انشقاق القمر) ، برقم ٢٨٠٠ .

(٥) السيرة النبوية (٢ / ١١٧).

(٦) السيرة النبوية (٢ / ١٢١).

obeikandl.com

فائدة: قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (١)

ما يذكره بعض القُصَّاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفترى ليس بصحيح . اهـ.

هذا وقد اكتشف علماء الفلك في الوقت الحاضر بعد مرور القرون العديدة على انشقاق القمر أن القمر قد انشق فعلاً يوماً،وأن هناك علامات واضحة على جرم القمر.

كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

«وهذا فيه آية لنبوته من وجوه:

منها: أن ذلك تصديق لقوله تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦] . فهذا إخبار من الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين.

وأخبره أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾.

[البقرة : ١٣٦-١٣٧] .

فأخبر الله أنه يكفيه هؤلاء المُشاقِّين من أهل الكتاب،وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة : ٦٧] .

فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس.

فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة.

---

(١) السيرة النبوية (٢ / ١٢٠).

❁ **منها:** أنه نصره مع كثرة أعداءه وقوتهم وغلبتهم ،وأنه كان وحده جاهراً بمعاداتهم وسب آبائهم ،وشتم آلهتهم ، وتسفيه أحلامهم ،والطعن في دينهم ، وهذا من الأمور الخارقة للعادة.

والمستهزءون كانوا من أعظم سادة قريش وعظماء العرب ، وكان أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم ، يعظمهم جميع الأمم ، أمَّا العرب فكانوا يدينون لهم ، وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظمونهم ، لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ،كما كانت الأمم تعظم بني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر.

وهؤلاء بنو إسرائيل بن خليل الله ،وهؤلاء بنو إسحاق بن خليل الله ، وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيره.

فكان أهل مكة معظمين ،لأنهم جيران البيت ، ولأنهم أشرف بني إسماعيل ، فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفى محمداً من بني هاشم.

وكان قد عاداه أشراف هؤلاء كما عادى المسيح عليه السلام أشراف بني إسرائيل ، وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار.

وكفى الله رسوله المسيح عليه السلام من عاداه منهم ، ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم ، وكذلك كفى الله محمداً ﷺ من عاداه ، وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم ، فإن الله إنما يثيب بالدين والتقوى لا بالبلد والنسب.

وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)** ﴾ [الأنعام : ٦٧] .

وقال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)** ﴾ [محمد : ١٣] .

وقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ**

مكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [النحل:١١٢-١١٣] .

وقد سمَّى أهلُ العلم بعضَ من كفاه الله إياه من المستهزئين ، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة رضي الله عنهم بالرياسة والعظمة بالدنيا، فذكروهم ليُعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟قيل :نعم .فقال :واللات والعزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال :فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ رقبته،قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له :مالك؟ ، قال : إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهؤلاء وأجنحة . فقال رسول الله ﷺ :«**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**» ،وأنزل الله تعالى :﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩) ﴾ [العلق:٩-١٩].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حديث هجرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة قال فيها :« واتبعنا سراقة بن مالك بن جعشم ونحن في جددٍ من الأرض فقلت يا رسول الله أُتينا فقال : لا تحزن إن الله معنا فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال : إني قد علمت أنكما دعوتما عليَّ فادعوا لي والله لكما أن أردَّ عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع لا يلقى أحداً إلا قال : قد كفيتم ما هاهنا فلا يلقى أحداً إلا ردَّه» .

وفي الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة نفسه قال:

« جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحدٍ منهما لمن قتله أو أسره .

فبينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج إذا أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه.

فقلت: ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً. ثم لبثت ساعة،ثم قمت فدخلت بيتي،فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتجسها عليَّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجِّه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها،فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم،وعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها فخرج الذي أكره،فركبت وعصيت الأزلام فقربت بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات،ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين،فخررت عنها فنهضت،فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان،فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم،ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ .....» وذكر تمام الحديث.

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال:

غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي والسيف صلتاً في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ ، قلت: الله. فشام السيف ـ أي رده في غمده ـ فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه فقال: لا أكون في قوم هم حرب لك».

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي ﷺ ثم تنصَّر فكان يقول:ما يدري محمد إلا ما كتبت له.

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اجعله آية ، فأماته الله فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: مثل الأول. فحفروا له واعمقوا ، فلفظته الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذاً » .

وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من حديث ابن إسحاق قال: حدثني يحي بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟.

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفَّه أحلامنا ،وشتم آباءنا ، وعاب ديننا،وفرَّق جماعاتنا،وسبَّ آلهتنا،لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم أو كما قالوا.

فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى. فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمدٍ بيده لقد جئتكم بالذبح.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً.

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحِجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه.

فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد فأحاطوا به يقولون له :أنت الذي تقول :كذا وكذا،لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم.

قال: فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذي أقول ذلك.

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر دونه يقول وهو يبكي: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه» .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس،وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟. فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه.

قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ،والنبي ﷺ ساجد ما رفع رأسه حتى انطلق إنسان إلى فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته ثم أقبلت عليهم تسبُّهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم،وكان إذا دعا دعا ثلاثاً ،وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ،فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام،وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبه ، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع فلم أحفظه .فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمَّى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر» .

ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبُّه ويذم دينه بأنواع من العقوبات، وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه،وقيامه بنصره،وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره، وما من طائفة من الناس إلا عندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب.

ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام،إذا حاصروا حصون أهل الكتاب أنه يتعسَّر عليهم فتح الحصن،ويطول الحصار إلى أن يَسبَّ العدو الرسولَ ﷺ، فحينئذٍ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك

قريباً كما قد جرَّبه المسلمون غير مرَّة تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر: ٣] . ولما مزَّق كسرى كتابه ﷺ مزَّق الله ملك الأكاسرة كل ممزَّق ، ولمَّا أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي ملكهم اهـ [١] .

قلت: ومن أعجب ما ذكرته كتب التواريخ في هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-: [٢]

أن بعض أمراء المغول تنصَّر فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول، فجعل واحد منهم يتنقَّص النبي ﷺ، وهناك كلب صيد مربوط ، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلَّصوه منه.

وقال بعض من حضر هذا بكلامك بمحمد ﷺ فقال: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه ، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال فوثب هذا الكلب مرَّة أخرى فقبض على زردمته[٣] فقلعها فمات من حينها فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول اهـ. ترجمة علي بن مرزوق الربعي السلامي.

تكثير الطعام القليل ببركة دعائه ﷺ وبصاقه فيه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حُفِرَ الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً - يعني جوعاً شديداً - فانكفيت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه.

فجئته فسارررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً - أي صنيعاً - فحيَّ هلاً

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦ / ٢٧٣ - ٢٩٦) باختصار.

(٢) في الدرر الكامنة (٣ / ١٢٨) .

(٣) الزردمة من الإنسان تحت الحلقوم واللسان مركب فيها. لسان العرب (٦ / ٣٤).

بكم فقال رسول الله ﷺ : لا تُنزِلنَّ برمتكم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت : بك و بك . فقلت : قد فعلت الذي قلت .

فأخرجت له عجيناً فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال :ادع خابزة فلتخبز معي ،واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها،وهم ألف ،فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطُّ كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو » [١] .

وفي لفظٍ آخر قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : إنَّا يوم الخندق نحفر فتعرضت لنا كيدة شديدة[٢] فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كديةٌ عَرضت في الخندق فقال ﷺ : أنا نازل،ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل أو أهيم [٣] .

فقلت : يا رسول الله إئذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ ، فقالت : عندي شعير وعناق [٤] .

فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي [٥] قد كادت أن تنضج فقلت : طُعيِّمٌ لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان .

قال : كم هو؟ ، فذكرت له فقال : كثير طيب، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال : قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .

قالت : هل سألك؟ ، قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويُخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه رضي الله عنهم ثم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١٠٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه) ، برقم ٢٠٣٩ .

(٢) هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض قاله الحافظ في الفتح (٧ / ٤٥٧) .

(٣) أي : صار رملاً يسيل ولا يتماسك . قاله الحافظ .

(٤) هي الأنثى من المعز .

(٥) أي الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة . قاله الحافظ .

ينزع ، البرمة فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقيَّة. قال: كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء؟ ، قالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدي لا تثني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ .

قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة؟، فقلت: نعم، قال: بطعام؟،قلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ : لمن معه قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة رضي الله عنه حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله وأبو طلحة معه.

فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّة فأدمته ، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا،ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة فأكل القوم كلُّهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً » (٢) .

تكثير الثمار ببركته ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه استُشْهِد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ديناً ، فلما حضر جذاذ النخل أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد علمت أن والدي استُشْهِد يوم أُحد وترك ديناً كثيراً وإني أحب أن يراك الغرماء.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) برقم ٤١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) برقم ٣٥٧٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه) ، برقم ٢٠٤٠ .

قال: اذهب فبيدر كل تمر على ناحية، ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أُغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال: ادع أصحابك، فما زال يكيل لهم حتى أدَّى الله أمانة والدي وأنا والله راضٍ أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي تمرةً، فسلم والله البيادر كلها حتى إني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة»[١].

وفي رواية أخرى قال جابر رضي الله عنه: إن أباه توفِّيَ وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود فاستنظره جابر رضي الله عنه فأبى أن ينظره.

فكلَّم جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ليشفع له إليه فجاء رسول الله ﷺ فكلَّم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى فدخل رسول الله ﷺ فمشى فيها ثم قال لجابر رضي الله عنه: جُذَّ له فأوف له الذي له. فجَذَّه جابر رضي الله عنه بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقاً وفضلت له سبعة عشر وسقاً.

فجاء جابر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبرته بالفضل فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر رضي الله عنهما فأخبره فقال له عمر رضي الله عنهما: لقد علمت حين مشى رسول الله ﷺ ليُبارَكنَّ فيها»[٢].

تكثير الماء القليل وثورانه بين أصابعه ﷺ:

عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة[٣] فتوضأ فجهش[٤] الناس نحوه فقال: ما لكم؟، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا.

قلت: كم كنتم؟، قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الوصايا) باب (قضاء الوصي ديون الميت)، برقم ٢٧٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الاستقراض) باب (إذا قاصَّ أو جازمه في الدين تمراً بتمر أو غيره)، برقم ٢٣٨٦.

(٣) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. قاله ابن الأثير في النهاية (٢ / ٢٦١).

(٤) أي أسرعوا لأخذ الماء.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة بالإسلام)، برقم ٣٥٧٦.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير فأدلجوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصباح عرَّسوا،فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس رضي الله عنه فكان أول من استيقظ أبو بكر رضي الله عنه وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ فاستيقظ عمر رضي الله عنه فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبِّر ويرفع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ فنزل وصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم ولم يصل معنا فلما انصرف قال :يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا؟ قال: أصابتي جنابة فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلَّى.

وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه وقد عطشنا عطشاً شديداً ، فبينما نحن نسير إذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء؟، فقالت :إنه لا ماء.

فقلنا: كم بين أهلك والماء؟، قالت: يوم وليلة.

فقلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ . قالت: وما رسول الله؟. فلم نكلمها حتى استقبلنا بها النبي ﷺ فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها مؤتَمَةٌ فأمر بمزادتيها فمسح في العزلاوين فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا ، فملأنا كل قربة معنا وأداة غير أنا لم نسق بعيراً ، وهي تكاد تَنُضُّ من المَلْئ ثم قال :هاتوا ما عندكم فجمع لها من الكِسَر والتمر حتى أتت أهلها قالت: لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا ، فهدى الله ذلك الصِّرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا» (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقلَّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده ﷺ في الإناء ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ ، ولقد كنَّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» (٢) .

شهادة السباع له ﷺ بالرسالة :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

بينما راعٍ يرعى بالحرَّة إذ عرض ذئبٌ لشاةٍ فحال الراعي بين الذئب والشاة فأقعى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامة النبوة في الإسلام) ، برقم ٣٥٧١ .
(٢) المصدر السابق برقم ٣٥٧٩ .

الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقي الله؟، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟، فقال الراعي: العجب من ذئب مُقعٍ على ذنبه يتكلَّم بكلام الإنس! ، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب منِّي؟ رسول الله ﷺ بين الحرتين يُحدِّث الناس بأنباء ما قد سبق.

فساق الأعرابي شاءَهُ حتى أتى المدينة فزواها إلى زاوية ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدَّثه بحديث الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم. قال: فأخبر الناس بما قال الذئب. فقال الرسول ﷺ : صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة: كلام السباع الإنسَ ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلِّم السباعُ الإنسَ ، ويُكلم الرجلَ شراكُ نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» [١] .

أدب الحيوان معه ﷺ وتعظيمه له:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليه فمنعهم ظهره وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ظهره ،وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : قوموا ، فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب وإنا نخاف عليك صولته فقال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر، أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقَّه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته،ما أدَّت حقه » [٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٨٣-٨٤) ، وعبد بن حميد في مسنده (٢/٦٣ برقم ٨٧٥) ، والحاكم في المستدرك (٤/٤٦٧-٤٦٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٤١-٤٢) ، وغيرهم ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/١٥٨) ، والضياء في المختارة (١٨٩٥)، والبزار (٢٤٥٤) ، وجوَّد إسناده ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية (٦/١٥٥) .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ بغلته وأردفني خلفه، وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّز كان أحب ما تبرَّز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح له، فلمَّا رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذفراه [١] وسراته [٢] فسكن فقال: من رب هذا الجمل؟، فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا. فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكاك إليَّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه.

ثم ذهب رسول الله ﷺ في الحائط فقضى حاجته، ثم توضأ، ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره، فأسر إليَّ شيئاً لا أحدث به أحداً، فحرَّجنا عليه أن يحدثنا، فقال: لا أفشي على رسول الله ﷺ سرَّه حتى ألقى الله» [٣].

إخباره ﷺ بأمور غيبية فوقعت كما أخبر:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسُنَّة عامَّة، وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم فيستبح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنَة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضاً» [٤].

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- في الجواب الصحيح: [٥]

وهذا أخبر به ﷺ في أول الأمر وأصحابه رضي الله عنهم في غاية القلَّة قبل فتح مكة، وكان كما أخبر، فإن ملك أمته انتشر في الشرق والغرب ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب، إذ كانت أمته أعدل الأمم، فانتشرت دعوته

---

(١) ذِفْرَى البعير: أصل أذنه. النهاية لابن الأثير (٢ / ١٦١).
(٢) سَراة كل شيء ظهره وأعلاه. النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٦٤).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٥٠) وسنده صحيح.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفتن) باب (هلاك هذه الأمة بعضها ببعض)، برقم ٢٨٨٩.
(٥) (٦/٩٩).

في الأقاليم التي هي وسط المعمورة من الأرض. اهـ.

وعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفتح الشام ويخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون**[١]**،والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون،والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،ثم تفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسُّون،والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**»[٢].

وقد وقع هذا كما أخبر به النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٣]: وفي الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه ،ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء ، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم . ا هـ.

وعن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : حين أجلى الأحزاب عنه: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم**»[٤] ، وكان كما أخبر النبي ﷺ، فلم يغزه كفار قريش بعدها حتى فُتحت مكة وصارت دار إسلام.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري:[٥]

وفي الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة ،فإنه ﷺ اعتمر في السَنة المقبلة فصدَّته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها،فكان ذلك سبب فتح مكة . اهـ.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ،ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل؛فقال ﷺ: «**يا عدي: هل رأيت الحيرة؟**، قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها. قال: **فإن طالت بك حياة لترينَّ الظعينة**[٦]

---

(١) قال الإمام النووي -رحمه الله-: معناه الإخبار عمن يخرج من المدينة متحملاً بأهله باساً في سيره مسرعاً إلى الرخاء والأمصار المفتتحة اهـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل المدينة) باب (من رغب عن المدينة) ، برقم ١٨٧٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار) ، برقم (١٣٨٨) .

(٣) (٤/ ١١٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الخندق) ، برقم ٤١١٠ .

(٥) (٧/ ٤٦٨) .

(٦) المرأة في الهودج.

ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دعَّارُ [١] طي الذي قد سعروا البلاد؟ . **ولئن طالت بك حياة لتُفْتَحنَّ كنوزُ كسرى.** قلت : كسرى بن هرمز؟، **قال : كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لتَرَينَّ الرجل يُخرِج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد.**

قال عدي رضي الله عنه: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ، يخرج ملء كفه » [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:**

دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها في مرضه الذي مات فيه فسارَّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت فسألناه عن ذلك فقالت: «**سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أنِّي أول من يتبعه من أهله فضحكت**» [٣] .

وقد مات النبي ﷺ في مرضه ذاك،وكان أول من مات بعده من أهله فاطمة رضي الله عنها.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: [٤]

وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ﷺ فإنهم اتفقوا على أن فاطمة -عليها السلام- كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه. اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**» [٥]

---

(١) الدعار : جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد ، قاله الحافظ في الفتح (٦ / ٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة بالإسلام) ، برقم ٣٥٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ ووفاته) ، برقم ٤٤٣٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ) ، برقم ٢٤٥٠ .

(٤) (٧/ ٧٤٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (خروج النار برقم)،٧١١٨ ومسلم في صحيحه كتاب(الفتن) باب (لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز) ، برقم ٢٩٠٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: [١]

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى تحرق الحجر ولا تنضج اللحم اهـ.

وعن سلمة كهيل قال حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذي كان مع عليّ رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رضي الله عنه : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة**» .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلّوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض ، والله إني لأرجوا أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله.

قال زيد بن وهب: فقتل بعضهم على بعض فما أصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان.

فقال عليّ رضي الله عنه : التمسوا فيهم المخدَّج [٢] ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام عليّ رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض ، قال: أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبَّر ثم قال: صدق الله وبلَّغ رسوله. فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين: آلله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ ، فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف له» [٣] .

وعن جابر عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : قد تُوفي اليوم رجلٌ صالحٌ من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦ / ٨٩).

(٢) هو ناقص اليد، قاله النووي –رحمه الله– في شرح مسلم (٧ / ١٤٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (تحرض على قتل الخوارج)، برقم ١٠٦٦ .

الحبشة فهلُمَّ فصلُّوا عليه ، قال: فصففنا فصلى النبي ﷺ ونحن صفوف » (١) .

وفي هذا الحديث آية ظاهرة على نبوة نبينا محمد ﷺ، فالنجاشي مات بالحبشة والنبي ﷺ أطلعه الله على ذلك في اليوم نفسه وهو في المدينة فأخبر أصحابه رضي الله عنهم بذلك وصلوا عليه صلاة الغائب.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر ، والحسن إلى جنبه ، ينظر إلى الناس مرَّة وإليه مرَّة ويقول: « **ابني هذا سيدٌ ، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين من المسلمين** » (٢).

وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ ، فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الملك لمعاوية لا لقلَّة ولا لذلَّة ولا لعلَّة ، بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة ، فاجتمعت كلمة المسلمين بتنازله بعد التفرق حتى سُمِّي ذلك العام بعام الجماعة.

ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصر، حتى أفردها علماء المسلمين بالمصنفات الكبيرة والكثيرة،وإنما ذكرت هنا ما يناسب حجم هذا الكتاب،والله الموفق للصواب.

الإعجاز العلمي في السُنّة المطهرة:

لقد مرّ بالناس أزمنةً غلو في العقل حتى ألّهـهُ بعضهم من دون الله،وقدمه آخرون على شريعة خالقه ومبدعه ـ سبحانه وتعالى ـ ومع التقدم العلمي الكبير في وقتنا الحاضر ، وما حصل من اكتشافات واختراعات، غلا أناسٌ في هذا الباب ونسوا أو تناسوا أن ما في الكون من عجائب وأسرار فإن الله هو خالقها وموجدها، وأن الله ـ سبحانه ـ هو الذي علَّم أبا البشر آدم أسماء كل شيء،كما قال تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة: ٣١] ، وهو سبحانه الذي عَلَّم الإنسان ما لم يعلم،كما قال تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** ﴾ [النساء:١١٣] .

وقال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجنائز) باب (الصفوف على الجائزة) ، برقم ١٣٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب الحسن والحسين) ، برقم ٣٧٤٦ .

الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق : ٥] .

وقد أخبر الله ـ سبحانه ـ أن العلم الذي آتاه عباده قليل ، مهما تقدموا علمياً .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وليعلم الذين يفاخرون بما توصلوا إليه من الاكتشافات العلمية في العصر الحديث بعد أبحاث مضنية وأوقات طويلة وجهود كبيرة بذلت فيها الأموال الطائلة في مجال الطب والطبيعة وغيرها أن الله هو الذي علمهم وهداهم ،وأن كثيراً من الأشياء الصحيحة التي توصلوا إليها مؤخراً قد أخبر الله بها نبيه ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ،وهو رجل أُمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى فجميع تلك الاكتشافات الحديثة الصحيحة من دلائل نبوته وبراهين رسالته وعظمة من أرسله سبحانه وتعالى،وسأكتفي ببعض الأمثلة خشية الإطالة:

[١] ما يسمى الآن بالحَجْر الصحّي :

الذي يعتبر من أهم الوسائل المقاومة لانتشار الأمراض الوبائية حيث يمنع حامل المرض من الخروج من بلده ويمنع السليم من الذهاب إلى تلك البلاد.

وقد أخبر بمقتضى هذا صراحةً نبيُنا محمدٌ ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان وإليك بعض النصوص في ذلك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**لا توردوا الممرض على المُصِحْ**»(١) .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**» (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام؛قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء وقع بأرض الشام ، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب (الطب) باب (لا عدوى) ، برقم ٥٧٧٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب (الطب) باب (ما يذكر في الطاعون) ، برقم ٥٧٢٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (الطاعون والطيرة) ، برقم ٢٢١٨ .

معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعُ لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى عمر في الناس إني مُصَبِّحٌ على ظهر فأصبحوا عليه.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ .

فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة !! نعم، نفرّ من قدر الله، إلى قدر الله أريت إن كان لك إبل هبطت وادياً له عَدْوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيتها بالجدبة رعيتها بقدر الله؟.

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف: وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحمد الله عمر ثم انصرف»[١].

قال الدكتور محمد علي البار بعد أن ذكر أحاديث الطاعون،[٢]

إن الحَجْر الصحي يعتبر من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية، ويظهر بجلاء مما تقدم أنَّ الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت مبادئ الحجر الصحي كأوضح ما يكون التحديد، فهي تمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون، كما أنها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها.

ومفهوم الحَجْر الصحِّي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولا تزال تتعثر في تنفيذه إلى اليوم.

ومنع السليم من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون مفهوماً بدون الحاجة إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (ما يذكر في الطاعون)، برقم ٥٧٢٩، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (الطاعون والطيرة)، برقم ٢٢١٩.

(٢) العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ ص (١٠٠-١٠٠٣).

معرفة دقيقة بالطب ،ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج وخاصة منع الأصحاء منهم يبدوا عسيراً على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبيَّة الحديثة، فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفر منها إلى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء.

هكذا يقول العقل والمنطق:لماذا تبقى في بلاد الوباء وتنتظر حتى يأتيك الوباء والموت؟.

والفرار من الوباء والهلاك تفرضه غريزة حب البقاء كما يفرضه المنطق والعقل.

وقد يقول لك قائل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، والبقاء في أرض الوباء تهلكة ، وأي تهلكة؟! .

ولكن الطب الحديث يقول لك إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للميكروب ، وكثيرٌ من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضاً ، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدوا عليه أي أثر من آثار المرض.

فالحمَّى الشوكية وحمى التيفود والزحار الأميبي والباسيلي والسل بل حتى الكوليرا والطاعون قد تصيب أشخاصاً عديدين دون أن يبدوا على أي منهم علامات المرض ، بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم،ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء. وهناك أيضاً فترة الحضانة وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب وتكاثره حتى يبلغ أشده، ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذا أنه يعاني من أي مرض ،ولكن بعد فترة قد تطول وقد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه. . . . . .

والشخص السليم الحامل للميكروب أو الشخص المريض الذي لا يزال في فترات الحضانة يعرِّض الآخرين للخطر دون أن يشعر هو أو يشعر الآخرون.

ولذا جاء منع الرسول ﷺ أهل البلدة المصابة بالوباء أن ينتقلوا منها تشريعاً رائعاً

ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان.

فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة قد يكون حاملاً للميكروبات كما قد يكون في فترة الحضانة، فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء فيعدي غيره، وينقل بذلك المرض إلى آلاف بل إلى ملايين البشر. اهـ.

[٢] معجزة وصف الجنين بعد الليلة الثانية والأربعين :

« كان علماء الأجنة إذا حسبوا عمر الجنين قبل اكتشاف بيضة المرأة يقعون في خطأ يتراوح ما بين زائد أو ناقص يوماً، ولم يتمكنوا من تحديد عمر الجنين في مراحله المختلفة إلا في القرن العشرين.

وكان علماء الأجنة يعجزون عن تتبع التطورات التي تحدث على جسم الجنين البشري، وزمن حدوثها إلى بعد الأربعينيات من القرن العشرين، وبخاصة بعد أن تمكنوا من النظر إلى داخل أجزاء الجنين، وذلك بما تيسر لهم من آلات للتصوير والتكبير، ووسائل الكشف عن المواد المختلفة.

لكن الله الذي يعلم ما في الأرحام ويعلم السر في السماوات والأرض أخبر رسوله ﷺ النبي الأمِّي في الأمة الأمية قبل ألف وأربعمائة عام بالليلة المحددة التي يبدأ بعدها الجنين البشري في أخذ صورته الآدمية والتي يأخذ بعدها في تشكيل وتكوين أعضائه الآدمية المعروفة لنا، وحجم الجنين لا يزيد في تلك الليلة على ١١ مم»[١].

دليل ذلك حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء. ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»[٢].

---

(١) بيانات الرسول ﷺ ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (القدر) باب (كيفية خلق الآدمي في بطن أمه)، برقم ٢٦٤٥.

وقد جاء التقدم العلمي مصدقاً لما أخبر به الرسول ﷺ بعد مرور أربعة عشر قرناً من الزمان ، فدلنا ذلك على أن العلم الذي حمله لنا الحديث الشريف لا يمكن أن يكون من مصدر بشري،وأنه لابد أن يكون من عند الله المحيط علماً بكل شيء ، لأن البشرية لم تقف على هذه الحقائق إلا في القرون الثلاثة الأخيرة الثامن عشر والتاسع عشر والقرن العشرين،وبهذا التطابق بين ما أخبر به النبي ﷺ من دقائق علم الأجنة وبين ما كشفه العلم الحديث من حقائق يتضح برهان من براهين صدق الرسول ﷺ .

إنه برهان العلم الإلهي الذي تلقاه النبي الأمي ما نفرد بالأخبار به من بين جميع البشر ، فجاء تقدم العلم بعصرنا مصدقاً لكل ما قاله الرسول ﷺ » (١) .

[٣] معجزة الإخبار بعدد المفاصل في جسم الإنسان :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبَّر الله وحمد الله وهلَّل الله وسبح الله واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس ، أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى ، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار» (٢)

قال الإمام النووي -رحمه الله-:

سلامى: أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله . اهـ.

لقد اخبر بهذا نبينا ﷺ في زمن يتعذر على أي أحد الإخبار بمثل هذا إلا بوحي من الخلاق العليم ـ سبحانه وتعالى ـ ، وقد توصل العلم الحديث بعد قرون عديدة وأبحاث مضنية إلى هذه الحقيقة ، وهي أن في جسم الإنسان ثلاث مئة وستين مفصلاً ، فصدق الله وصدق رسوله ﷺ .

---

(١) بيانات الرسول ﷺ ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ١٧٩ – ١٨٠ ، باختصار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف) برقم١٠٠٧ .

[٤] معجزة إخباره ﷺ عن عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ظلال الطريق**» (١) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وانهاراً**» (٢)

العود في الأصل هو رجوع الأمر إلى شيء سبق أن كان عليه ، وهذا يدل على أن أرض العرب كانت سابقاً مروجاً وأنهاراً.

والمروج: الرياض والمزارع ، وقد أثبتت دراسات عديدة أنها كانت كذلك وقد أخبر النبي ﷺ أنها ستعود فيما بعد كذلك «وقد نشرت هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسُّنَّة برابطة العالم الإسلامي لقاءاً بين الشيخ عبد المجيد الزنداني والبروفيسور ألفريد كروز الذي يقول عنه الزنداني إنه من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا.

قال الشيخ الزنداني: لقد سألناه: هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهار؟.

فأجاب: نعم.

فقلنا: متى كان هذا؟ .

قال: في العصر الجليدي الذي مر بالأرض، إن الجليد يتراكم في القطب المتجمِّد الشمالي ثم يزحف نحو الجنوب فإذا اقترب من جزيرة العرب قرباً نسبياً تغير الطقس وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم بساتين وأنهار.

قلنا له: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وانهار؟ .

قال: نعم. هذه حقيقة علمية.

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده (٢ / ٣٧٠-٣٧١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها) برقم ١٠١٠ .

فسألناه: لماذا؟.

قال: لأن العصر الجليدي قد بدأ، فهذه الثلوج تزحف من القطب المتجمد الشمالي مرَّة ثانية نحو الجنوب وهي في طريقها لتقرب من المناطق القريبة من بلاد العرب.

ثم قال: إن من أدلتنا على ذلك ما تسمعون عنه من العواصف الثلجية التي تضرب في كل شتاء المدن في أوربا وأمريكا، هذه من أدلة العلماء على ذلك، ولهم أدلة كثيرة، إنها حقيقة علمية.

فقلنا له: إن هذا الذي تذكره أنت لم يصل إليه العلماء إلا بعد حشد كبير من الاكتشافات وبعد آلات دقيقة يسرت لهم مثل هذه الدراسات، لكنَّا قد وجدنا هذا مذكوراً على لسان محمد النبي الأمي ﷺ قبل، ثم ذكر له الحديث.

فقلنا له: من قال لمحمدٍ أن بلاد العرب كانت بساتين وانهار؟.

فأجاب: الرومان.

فقلنا له: ومن أخبره بأنها ستعود مروجاً وأنهاراً؟.

فقال: إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحي من أعلى»[١]

[٥] معجزة إخباره ﷺ أن في أحد جناحي الذباب داءً وفي الآخر شفاءً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلَّه ثم ليطرحه، فإن في إحدى جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً**»[٢].

أخبر بهذا النبي الأُمِّي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد أجريت في العصر الحديث عدة دراسات وأبحاث انتهت إلى صحة ما أخبر به النبي ﷺ، بعد أن تجرَّأ بعض ضعفاء العلم والدين على ردِّ هذا الحديث، والطعن فيه بلا برهان إلا ما زعموه من أنه يخالف عقولهم.

قبحاً لهاتيك العقول فإنها ... عُقَلٌ على أصحابها ووبالُ

---

(١) نقلاً عن كتاب (الإعجاز العلمي في السُّنَّة النبوية (٢/ ٩٢٥-٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (إذا وقع الذباب في الإناء) برقم ٥٧٨٢.

« ومن تلكم الدراسات العلمية التي شهدت بصحة ما أخبر به النبي ﷺ ما قام به فريق من الباحثين المتخصصين بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية ـ حرسها الله وسائر بلاد المسلمين ـ بحضور بعض أهل العلم الشرعي وقد قاموا بإجراء تجربة دقيقة لإثبات صحة ما دلَّ عليه الحديث .

فقد جعلوا ذباباً يقع في ماءٍ نقي تماماً ثم فحصوا ذلك الماء فوجدوه قد تلوث ولما غمسوا الذباب كله وجدوا أن التلوث قد زال تماماً من الماء » (١) ، فسبحان الخلاق العليم الحكيم ، وصدق رسوله الكريم ﷺ ، والحمد لله رب العالمين .

[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب» (٢)

فأخبر النبي ﷺ أنه يُجمع في تطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بين الماء والتراب . وقد أثبت العلم الحديث أن في لعاب الكلب مكروبات ضارة لا يزيلها مع الماء إلا التراب .

قال الشيخ عبد الرحمن البسام -رحمه الله-: (٣)

ثبت طبياً واكتشف بالآلات المكبرة والمجاهر الحديثة أن في لعاب الكلب ميكروبات وأمراضاً فتَّاكة لا يزيلها الماء وحده ما لم يستعمل معه التراب خاصَّة؛ فسبحان العليم الخبير . اهـ.

والسُّنَّة النبوية طافحة بأمثال ما سبق ، وفيما ذكر كفاية لمن أراد الله له الهداية .

وبعد هذه الدلائل الواضحة التي انتخبناها بما يناسب حجم هذا الكتاب نستفيد ما يلي:

[١] ثبوت نبوته ﷺ بما لايدع مجالاً للشك، فكل عاقلٍ منصف أراد الله به خيراً وقف عليها لايملك إلا أن يشهد له ﷺ بأنه مرسل من عند الله .

---

(١) انظر : كتاب (الإعجاز العلمي في السنَّة النبوية) (٢ / ٩٢٥-٩٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطب) باب (حكم ولوغ الكلب) برقم ٢٧٩ .

(٣) توضيح الأحكام (١ / ١٠٨).

[٢] أنه ﷺ صادق فيما جاء به من عند الله.

[٣] علو رتبته ﷺ وعظيم مكانته عند الله ، فقد أعطاه الله من الآيات ما يتناسب مع عموم بعثته وعلو رتبته.

[٤] زيادة الإيمان، فإن مطالعة هذه الدلائل وإمعان النظر فيها يزيد الإيمان ويقويه.

[٥] زيادة المحبة والتعظيم ـ الشرعي ـ للنبي ﷺ .

[٦] تجلي عظمة الله وكمال قدرته وبديع حكمته.

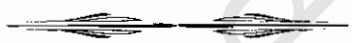

obeikandl.com